الاسراء والمعراج

معناهما ـ دليلهما ـ وقتهما ـ حكمتهما ـ الجواب على
اعتراض المعترضين ـ خبرهما ـ تحقق البشارة
بهدهما ـ نداء الى المسلمين

بقلم

مصطفى أحمد الرفاعي البابه

١٣٥١

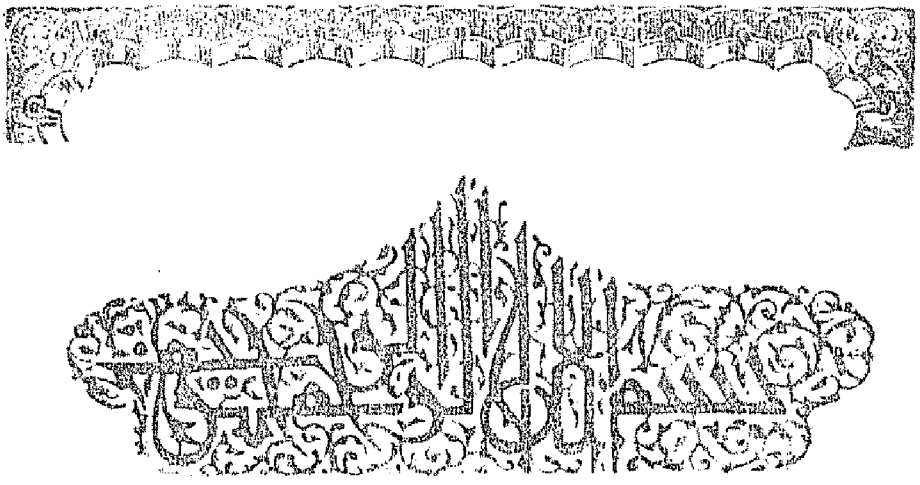

مقدمة

الحمد لله الذى أسرى برسوله المصطفى المختار من مكة المكرمة النقية ، الى المدينة المقدسة الرضية ، فى ليلة سنية ، وعرج به الى السماوات العلى ، وأراه ما أراد من فيوضه العلية

والصلاة والسلام على سيد الخلق الذى خصه الله بالاسراء والمعراج اعلاءً لقدره ، وتعظيما لدرجته النبوية

وبعد ، فهذه كلمة في الاسراء والمعراج أساهم بها مع من كتبوا فى هذا الموضوع الجليل . وأرجو أن يوفقنى الله الى الاحسان ، انه هو المستعان

معنى الاسراء والمعراج

الاسراء من أسرى أى سار ليلا . كما أن السُّرَى من سرى بمعنى السير ليلا أيضاً . غير أن الغالب أن سرى لمن سار بنفسه وأسرى لمن سار به غيره . والاسراء الذى نقص خبره فى كلمتنا هو السير برسول الله ﷺ من البيت الحرام الى المسجد الاقصى والرجوع به ولم يبرد فراشه

والمعراج هو السلّم وفعله عرج يقال عرج فى السلّم إذا ارتقاه

والمعراج الذى نريده هو الصعود بالنبى ﷺ من صخرة بيت المقدس الى السموات حيث نال الشرف الاعلى ، والمكانة الفضلى ، ودنا فتدلى ، وكان قابَ قوسين أو أدنى

دليل الاسراء والمعراج

الاسراء ثابت بالكتاب الكريم ومفصل فى الاحاديث النبوية الشريفة . فمنكره جاحد كافر لانه أنكر شيئاً معلوما من الدين بالضرورة . وسياق الآيات يقطع أن الاسراء كان بجسده ﷺ وروحه ، فالذين يجعلونه مع المعراج بالروح عليهم الرجوع الى الحق لان كثيراً من المؤمنين يسرون بأرواحهم الى أقاصى الدنيا ويشاهدون ما فيها من عجائب وغرائب . فاذا كان الاسراء

بالروح فقط فأين الاختصاص والامتياز ؟

والمعراج مفهوم من الكتاب الحكيم فى سورة النجم وموضح بالاحاديث الصحيحة وذلك يعطيه قوة اليقين . ومنكر المعراج فاسق لا كافر . وفى هذا الحكم برهان على قوة الدين الاسلامى الذى لا يأخف أتباعه الا بالواضحة النقية والصراحة التامة والاثبات الكامل ليفسح للعقل مجال التفكير ويضع أمامه نماذج عالية للسماحة ورحابة الصدر وعظم الرفق وكمال الاحسان

قال الله تعالى فى ذكر الاسراء :

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾

وقال الله تعالى فى صفة الوحى وقرب الرسول ﷺ منه ، وفيه اشارة الى المعراج :

﴿ والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾

وقت الاسراء والمعراج

كان رسول الله ﷺ قد ذهب الى الطائف يدعو أهلها تقيفاً الى الاسلام فما أحسنوا استقباله بل غلبت عليهم الرعونة والغلظة فجبهوه وأساءوا اليه ولم يكتفوا بالصدوف عن الخير الذى دعاهم اليه ، لكن أضافوا اليه ايذاءه وتسليط العبيد والغلمان يضربونه ويشتمونه . وتلك أشد سوءى يقابل بها مصلح فى العالم منذ أرسل الله الانبياء والمرسلين

فرجع رسول الله ﷺ حزيناً الى مكة . وبعد ذلك بقليل كان الاسراء والمعراج

والمعروف عند الجمهور أن ليلة الاسراء والمعراج هى السابعة والعشرون من ليالى رجب الاصم فى السنة الحادية عشرة من النبوة . وقد تكون الليلة غير هذه ولا ضرر فى ذلك فالعبرة بحدوث الشىء لا وقت وقوعه

حكمة الاسراء والمعراج

رجع رسول الله ﷺ من الطائف أسيفاً لعزوف ثقيف عن الاستماع لدعوته وهدايته ، حزيناً لوقوف قريش بالمرصاد في طريق رسالته فكأنما طاف بنفسه السامية وروحه العالية أن الناس لم يعودوا يؤمنون ، وأن القلوب مستمر استعصاؤها على الارشاد

والتهذيب ، وكأنما رأى أنه محوط بأعداء الاسلام من كل جانب مع قلة أنصاره وضعفهم وانحطاط الاذى عليهم من كل صوب وكأنما فكر لحظة فى جواز صرودهم على الكفر زمناً طويلا ومرونهم على الضلال مدة كثيرة . فكان فى حالة لا يمكن التعبير عنها بالقلم لشدة حرصه على خير العالم وعظم شوقه الى انتشار الاسلام الحنيف

والله تعالى عالم بالنصر المؤزر الذي سيناله رسوله الكريم ، والنور الوضاء الذى سيذيع بالاسلام فى أنحاء الارض ، والخير العميم الذى يوشك أن يسبغ على العالمين

فأسرى به وعرج ليبشره عملياً بما يجب ويزيل من نفسه القوية عوامل الاسف والحزن والاسى التى كانت تساوره لكثرة تفكيره فى عماية قومه وغلظتهم وبعدهم عما يريده لهم من مجد دائم وعز مقيم وسعادة فى الدارين وعظمة لن تزول حتى يرث الله الارض ومن عليها

فالاسراء والمعراج بمثابة مرسوم ملكى أعلن فيه لرسول الله ﷺ ما هو قريب حصوله من اقبال الناس على دين الله أفواجا واهتداء الناس بنور الله العظيم ودخول الانسانية فى عهد هناءة وسعادة ورخاء وكمال واحسان وعدل وانصاف وحرية

وقد تسلم رسول الله ﷺ هذا المرسوم الجليل فى حفلة كاملة بهية حضرها الانبياء والمرسلون والملائكة النورانيون ، وفى حضور الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم تحقيق للبشارات التى أزجوها الى امهم مخبرين عن رسول الله ﷺ

وعن بعثته العامة للناس جميعاً

هذه هي الحكمة العليا للاسراء والمعراج ونعة حكم اخرى منها بيان فضل رسول الله ﷺ على جميع اخوانه الانبياء والمرسلين

فان سيدنا ادريس وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام برفعهما الى السماء قد نالا مكاناً علياً . ولكنهما حين الرفع حولا الى حالة وفق مكانهما الجديد ولولا ذلك ما بقيا هنالك الى الآن وحين ينزل سيدنا عيسى تردُّ اليه صفاته الاولى الارضية بعد نزوله . أما رسول الله ﷺ فقد عرج به فى هيئته وحالته التى كان عليها واجتاز السموات ووصل الى سدرة المنتهى ورأى عجائب الملكوت رأى العين ثم رجع الى الارض فى هيئته وحالته التى كان عليها أيضا وفى هذا دليل على القوة الروحية الهائلة التى خص بها ﷺ ولم تكن بهذا المقدار لاخوانه عليهم الصلاة والسلام

وسيدنا موسى عليه السلام كلمه الله تعالى على جبل الطور وناجاه عند الشجرة ولكنه أمره بخلع نعليه لانه بالوادى المقدس طوى . وقد نال رسول الله ﷺ شرف المكالمة والمناجاة فى المكان العالى بالاحتفاء التالى

وسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أراه الله ملكوت السماوات والارض وهو فى الارض . ورسول الله ﷺ طاف بملكوت السماوات ورأى عجائبها كلها

ولن ينقص هذا الفضلُ الجليل من فضلهم عليهم الصلاة والسلام ، فهم بدور العالم ومصابيح الهداية ورسل الله الذين

اصطفاهم على خلقه فضلا منه وعناية بالناس

وفى الاسراء والمعراج حكم كثيرة أولى بها المطولات والتواليف الواسعة الفضفاضة

الاعتراض على الاسراء والمعراج

فى صبيحة ليلة الاسراء والمعراج أخبر رسول الله ﷺ قومه بما حباه الله به من كرامة وفضل ، فصدق كبار الصحابة رضى الله عنهم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى واخوانهم ، وارتاب الضعاف ، وهزأ المبطلون الكافرون

وقد زالت الريبة والسخرية بأخبار رسول الله ﷺ بقدوم عير لقريش فى يوم معين وقد جاءت كما أخبر وبوصف المسجد الاقصى (١) وبيان أروقته وأعمدته وحجراته

وفى هذا العصر قد يرتاب بعض المسلمين الضعاف فى الاسراء والمعراج ولا بد أن ينكر الملاحدة والكفرة أخبارهما بشدة وعنف كما هى عادتهم

ونحن نقول للضعاف :

أنتم تؤمنون بأن الله على كل شىء قدير وأن الارض والسماء والهواء وجميع ما خلق فى قبضة الله تعالى فهو المسيطر عليها الحاكم

---

(١) أى المبانى التى كانت قائمة فى ذلك الوقت فى مكان المسجد الاقصى أو جوار مكانه ولعلها كنيسة للنصارى . أما المسجد نفسه فبنى فى عهد عمر رضى الله عنه

لها . فلا غرابة الا باعتبار عجزنا وحسنا فى أن يسرى الله برسوله ﷺ من مكة المكرمة الى بيت المقدس فى لحظات وأن يعرج به الى السموات فى لحات ، وأنتم الساكين تسرى أرواحكم وتعرج فتزورون البلاد والاقاليم وتصعدون الى الملا وتشهدون أشياء لو كانت فى اليقظة لما نلتموها فى مئات السنين

فليس فى المعجزات النبوية ما يستكثر على رسول الله ﷺ . وحدُّ الاعجاز أن رسول الله أسرى به وعرج جسما وروحاً ، وأنتم روحاً فقط . ولما كان المعراج الروحى درجة عظيمة فلا ينالها الا المؤمنون العظام ، وهو يتمتع به الانبياء والمرسلون فى كثير من الاحايين ، وقد يعرج بروح رسول الله ﷺ كل ليلة فيصعد الى السموات ويتمتع بالكرامات

وأنتم تشاهدون فى هذا العصر امورا تقرّب اليكم الاسراء والمعراج : ففى الطيارات ما يقطع فى الساعة ٣٥٠ ميلا ، وأظن أن المسافة بين مكة وبيت المقدس لا تزيد على ذلك كثيراً . فلنفرض أن هذه الطيارة تجتاز ما بين مكة وبيت المقدس فى ساعة ونصف ، فهل يكثر على المعجزة أن يكون الاجتياز فى لحظة

وقد سمعتم أن اناساً يحاولون الوصول الى القمر بالوصول الى منطقة الجاذبية فيرتفعون بلا عناء الى السماء ، أى أنهم يقطعون الفضاء ذا الهواء فيوجدون فى جو يرتفع فيه الانسان بنفسه الى الملاء

فهل يكثر على المعجزة أن يكون المعروج الى السماء خفيفاً جميلا اكراما لرسول الله ﷺ ؟

واذا كان الانسان العاجز يصل بالعلم الى هذه النتائج الباهرة فما بالكم بالقدير جل شأنه الذى لا يعجزه شيء واذا أراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون !

وأما الكفرة والملاحدة فشأنهم أهون وأسهل ففى عجائب الدهر ما يعشى أبصارهم ويذهل ألبابهم ، فهم قد عرفوا وسمعوا ورأوا أن الصور تنقل بالبرق من الوف الاميال . ومصابيح استراليا الكهربائية تضاء بموجة تصلها من ايطاليا . والمتكلم فى المسرة يرى من يخاطبه وبينهما شقة بعيدة المدى . وصور الخيال التى تعرض على اللوحة الفضية تنطق ألفاظاً جلية لان الصور تلتقط مع الاصوات فى فينة واحدة ، وغير ذلك من الامور العجيبة

فاذا لم يكن هذا كافياً لتصديقهم الاسراء والمعراج فنحن فى غنى عن اعترافهم مع ثقتنا بأنهم مرغمون عليه بعد حين باحساسهم والملاحدة منهم كالاطفال لا يفهمون الا ما يلمسون ويحسون وينظرون

ولن يمضى الا زمن وجيز حتى يعلم الشرق والغرب أن الاسراء والمعراج حقيقة علمية دينية كما أنه معجزة نبوية لخير البرية

خبر الاسراء والمعراج

قصة الاسراء والمعراج مبسوطة فى الاحاديث الصحيحة وقد ألفت فيها الكتب الكثيرة ، وملخصها أن رسول الله ﷺ كان

مضطجعاً فى حجر اسماعيل فجاءه ملكان فأيقظاه وذهبا به الى بئر زمزم حيث شقا صدره وغسلا قلبه ايذاناً باستعداده لقبول التجليات الالهية واجتياز ملكوت السموات واعلانا لسموه عن جو البشرية الضعيفة الى جوزاء القوة الملكية والنفحات القدسية . ثم أتى بالبراق يضع يده عند منتهى بصره ـ فهو أشبه بالطيارة الارضية ـ فاجتاز به المسافة بين مكة و بيت المقدس و رأى رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة القصيرة أحوالَ العالم فكأنما كانت مصورة على شريط عرض عليه وهو سائر بالبراق ولا بد أنه تحقق المدى الذى سيبلغه اصلاحه الالهى . ولما بلغ بيت المقدس تحف به الملائكة ترجل وربط البراق فى صخرة بيت المقدس وتشرفت الارض المقدسة بصلاة السيد الاكرم ﷺ فكان فى ذلك البشارة بوصول ضياء الاسلام إلى فلسطين واستقراره فيها لتكون مصدراً من مصادر الهداية الاسلامية فى العالم . وعرضت عليه ﷺ آنية فيها لبن وخمر وعسل ، فاختار المصطفى عليه الصلاة والسلام اللبن دليل الفطرة التى فطر الله عليها الناس . ومن العجيب أن الاسلام فى الاديان كاللبن فى الاشربة فهو طعام كامل كله خير و بركة لا يشكى منه ولا ينقص قدره . وقد يكون الخمر والعسل رمزاً للديانتين السابقتين أو عنواناً على العدل فقط والرحمة فقط . فاللبن فى هذه الحالة يمزج العدل بالرحمة والرجاء بالخوف . ولا مانع من هذا التفسير فالمقام يرضاه

وبعد هذا نصب له المعراج وقد يكون هو البراق نفسه أو مركبة أخرى تنجذب إلى العلاء كلمح البصر . فاستفتحت له أبواب السموات ففتح الموكلون بها رتاجها واحتفوا به ورحبوا ترحيباً عظيما . وقد قابل فى السماوات السبع طائفة من إخوانه الانبياء عليهم السلام . فرأى فى الاولى آدم أبا البشر عليه الصلاة والسلام وفى هذا اللقاء امتزاج البدء بالختام واتصال الاب الاول بالابن الاشهر ﷺ

وفى الثانية ابنى الخالة يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وهما يمثلان الرجاء والخوف والشدة واللين والامل الواسع والاسف على الذين لا يهتدون ، فلقاؤه ﷺ إعلان لما كان يعرض له ﷺ وهو يبلغ قومه رسالات ربه

وفى الثالثة الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم سيدنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام . وسيدنا يوسف مشهور بالجمال الحسى والمعنوى ورسول الله ﷺ أكمل الناس خلقاً وخلقاً فاجتماعه بسيدنا يوسف يحمل معنى جميلا ساميا

وفى الرابعة سيدنا إدريس الذى رفعه الله مكاناً علياً ومن المناسب أن يقابله رسول الله ﷺ إبان معراجه ليهنئه بالدرجة التى وهبه الله إياها وليتقبل تهانئه له بمعراجه السامى

وفى الخامسة سيدنا هارون الحليم الوديع الرقيق اللين الذى

كان يحبه بنو إسرائيل لما يرون فيه من صفات الكمال والجمال . ورسول الله ﷺ أعطى القسط الاوفر من الحلم والعطف .

وفى السادسة سيدنا موسى صاحب الشريعة التى نسخها لديانة الاسلامية . وصاحب الامة الاسرائيلية التى فضلت على العالمين فى زمانها فجاءت الامة المحمدية فكانت خير أمة أخرجت للناس

وفى السابعة سيدنا إبراهيم أبا المؤمنين والداعى لارسال سيد الاولين والآخرين . والذى يتنازعه اليهود والنصارى بغيا بدون علم . فرؤية الرسول ﷺ إياه ظفر ونجاح عظيم، ودليل على أن المسلمين هم أحق الناس بسيدنا إبراهيم

وارتقى رسول الله ﷺ حتى وصل سدرة المنتهى ففارقه جبريل الامين لان له مقاماً لا يتعداه

وهنالك غمرت الرسول ﷺ الانوار وتجلى له الله فرأى من عظمة الربوبية مارأى وأعطى علم الاولين والآخرين وبدت له البشائر العليا بفوزه ونصره على المعاندين . وفرض الله عليه وعلى أمته فى اليوم والليلة خمسين صلاة وبعد نواله المجد الاسنى والشرف الاسمى ومعرفته أسرار الملكوت الاعلى استعد للرجوع إلى إتمام جهاده فى سبيل الله تعالى بعد أن زوّد بالقوة التى لا تغلب فالتقى بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فجاذبه الحديث وعلم منه ما فرضه الله عليه وعلى أمته فأشار عليه بالرجوع وسؤال

ربه للتخفيف . فخففت الصلوات الى خمس فى العدد وخمسين فى الاجر . وفى فرض الصلاة فى السماوات تعريف بقيمتها وتدليل على أنها الصلة الروحانية بين العبد وربه والقوة الخفية التى يصير بها المؤمن ملكا طاهرا ونفساً قدسية

ورجع رسول الله ﷺ بين مظاهر التكريم والابتهاج إلى الارض وقد بدت طلائع الصبح وظهرت الدنيا بمظهر السكون والجلال فكأنها أحست بأنها نالت شيئاً من شرف السماء وبلغت درجة سامية من الارتقاء

وأصبح رسول الله ﷺ قصص خبر ما أنعم الله به عليه فصدّق المؤمنون وارتاب الضعاف وكذّب الكافرون . فزالت الريبة وكبت الله الكافرين باظهار صدق رسوله الامين

تحقق بشارة الاسراء والمعراج

وقد تحققت الحكمة العليا من حكم الاسراء والمعراج فامته لم تمض بضعة أشهر حتى هدى الله رهطا من الاوس والخزرج إلى الاسلام وتكاثر المسلمون فى المدينة وتمت الهجرة المباركة وأخذ هدى الاسلام يتبلج ويشرق حتى عمّ الجزيرة العربية

وبعد اثنتى عشرة سنة بلغ أصحاب رسول الله ﷺ مائة ألف أو يزيدون . وعلم ملوك الارض بمبعث المصطفى ﷺ . ودخل الملايين من سكان الجزيرة فى الهداية الاسلامية وصار

الاسلام هو الدين الغالب فى الارض

وفى ذلك البرهان الجليل على ما احتوى الاسراء والمعراج من بدء بزوغ النصر وانجلاء القمر

نداء الى المسلمين

وأنا أنادى المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها قائلا :

يا إخواني قد عرفتم أن الاسراء والمعراج طليعة الفوز فى ميدان الجهاد الاسلامى . وأن الاسلام طفق يحلّق بجناحيه فى سماء العزة والكرامة والقوة والذيوع منذ ذلك الوقت . وأنا أقول لكم ان بشارة الاسراء والمعراج لا تزال تتغلغل فى الاجيال والقرون وإنها الآن ظاهرة قوية . ولكنها تحتاج إلى من يعمل على تحقيقها والفوز بشرفها

فهل لكم أن تتعاونوا على الدعاية إلى الاسلام عن طريق العمل بتعاليمه والتهذب بآدابه ؟

هل لكم أن تسارعوا لايصاله إلى القلوب المتعطشة اليه بالبذل في سبيل الله وتنكب الشهوات الخسيسة والملذات الدنيئة الضئيلة ؟

هل يشرق فى قلوبكم قبس من نور الاسراء والمعراج فتؤمنوا أن الاسلام لابد غالب فلا تيأسوا ولا تقولوا إن زمنه ولّى وانقضى ؟

هل تستضيء بصائركم بأضواء الملكوت فتعرفوا أن الاسلام هو الدين الخالد العام الذى ستتشرف به جميع الامم فى وقت قريب فتنشطوا لتوفير الوسائل والوسائط والاسباب ؟

أنا واثق من استجابتكم لى لانكم تشاهدون أوائل الغيث الذى سينهمر ، وتحقق استعدادكم فى هذا العصر لحمل مصباح الهداية إلى كافة الشعوب

ونقفي الله وإياكم إلى العمل لاسعاد الانسانية بالديانة الاسلامية

الخاتمة

هذه كلمات قليلة سطرتها اليراعة عن الاسراء والمعراج . وأنا أعترف بالقصور التام عن بيان قطرة من بحار الجمال والجلال فيهما . ولكنّ شوقى واخلاصى يستران نقائصى وقصورى

والحمد لله أولا وآخرا

مصطفى أحمد الرفاعى اللبان